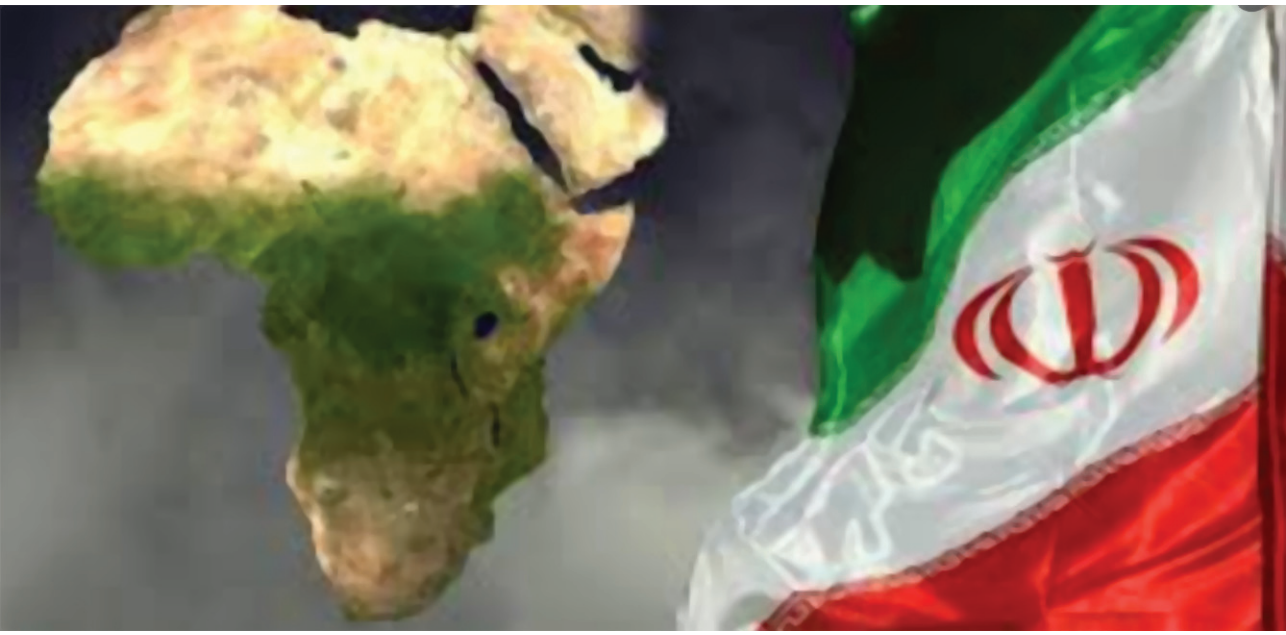

سياسة إيران الإفريقية في عهد روحاني:

انكفاء إقليمي أم إعادة ترتيب أوراق؟

د. لطفي صور
أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر الجزائر

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل سياسة جمهورية إيران تجاه القارة الإفريقية خلال فترة حكم حسن روحاني، في ظل بيئة دولية متغيرة، حيث تحلل هذه الدراسة سياسة إيران الخارجية وتنفيذها في إفريقيا على وجه الخصوص، والتمييز بين مختلف المناطق الإفريقية، ووسائل وقنوات الانخراط الإيراني في إفريقيا، ودواعي مكاسب وخسائر إيران في القارة الإفريقية.

وتحاول أن تبيّن كيف سعى النظام الإيراني، من خلال البراغماتية وإقامة علاقات مع الغرب، لموازنة خسائره في إفريقيا، والتكيف مع الظروف الجديدة في القارة الإفريقية.

أولاً: طبيعة التحركات الإيرانية في إفريقيا في عهد روحاني:

تأتي التحركات الإيرانية في إفريقيا في عهد روحاني استكمالاً لسياسة إيران الإفريقية التي بدأت في عهد خاتمي (١٩٩٧-٢٠٠٥م)، وعرفت اهتماماً أكبر في عهد أحمدي نجاد (٢٠٠٥-٢٠١٣م)، حيث قام وزير الخارجية

الإيرانـــي محمد جـــواد ظريـــف بالعديد من الزيارات الرسمية لدول القارة الإفريقية، والتي تشير بمجملها إلى تزايد رغبة إيران في توطيد علاقاتها مع بقية دول القارة الإفريقية.

تبـــدو القـــارة الإفريقية محورية بالنســـبة لتحركات السياسة الإيرانية الخارجية، إذ تعتبر إيران أنّ شـــرق القارة مهمٌّ جداً بالنظر لوجود الممرات المائية والبحرية، ولذا يوجد أســـطول بحري لإيران بالقـــرب من مضيق باب المندب، كمـــا تقيم إيـــران، تاريخياً، علاقـــات قوية مع إريتريا وجيبوتي والسودان.

وفي جنـــوب القارة؛ ثمّة علاقـــات تجارية متناميـــة بين إيران وأنجـــولا وموزمبيق وجنوب إفريقيـــا، ويوجد في دولة جنـــوب إفريقيا ٢٠ مركزاً للشيعة، تتنوع ما بين المساجد والحوزات والمؤسسات التعليمية الكبيرة[١]، حيث تتجسّد طبيعة وشكل الحضور الإيراني في دول إفريقيا من خلال البعثات الدبلوماســـية المنتشـــرة في معظم هذه الدول، وملحقاتها الثقافية، والمراكز الدينية والدعويـــة والإغاثية، التي تتبع إما تلك الســـفارات وإما الحكومة الإيرانية مباشـــرة، وتنهض كلها بدور التغلغل في المنطقة[٢].

ثانياً: أهداف السياسة الإيرانية في إفريقيا في عهد روحاني:

- **ترسيخ نفوذها السياسي كجزء من المحور المعادي للغرب:** الذي تســـعى إلى إنشـــائه في دول العالـــم الثالث، فـــي محاولةٍ لتقليل النفـــوذ الغربي، وبخاصـــة الأمريكي، بعد عـــودة التوتـــر للعلاقات الأمريكية الإيرانية إثر وصول دونالد ترامب لســـدّة الحكم في الولايات المتحدة، وفرضه حزمة عقوبات اقتصادية جديدة على إيران[٣].

- **إظهار إيران كقوة منافسة يُحسب لها حسابها في المنطقة:** من خلال تعزيز وجودها العسكري البحري فـــي البحر الأحمر وخليـــج عدن وقُبالة الســـواحل الصومالية، تحت ذريعـــة محاربة القرصنة، وقدرتها على التأثير في المصالـــح الحيوية لبعض الأطراف العربيـــة، على وجه الخصـــوص الخليجية منها، في البحر الأحمر والقرن الإفريقي[٤].

كما لا يمكن عند تناول أهداف السياسة الإيرانية فـــي إفريقيا إغفال المشـــروع الأيديولوجي الإيراني ومساعيها لنشـــر المذهب الشيعي على نطاق واسع، وذلك من خلال:

- **فكرة تصدير الثورة:** عبر المؤسسات الإيرانية أو المراكـــز الثقافيـــة التي تنشـــر الفكر الشـــيعي، وتعزيز نفوذها من خـــلال تكثيف جهودها في الدول والمجتمعات ذات الأغلبية المسلمة في إفريقيا[٥].

- **نشر المذهب الشيعي، ودعم وتحريك الشيعة في المنطقة:** بهدف خلق قواعد محلية موالية لإيران باعتبارها المرجعيـــة الدينية، من أجل الضغط على الحكومـــات الوطنية والعمل فـــي مواجهة المصالح الغربية في شرقَي إفريقيا[٦].

على ســـبيل المثال: في عـــام ٢٠١٥م كان هناك

---

(١) قنوات إيران لنشر التشيع غرب إفريقيا، على الرابط: https://futureuae.com/ar-AE/Activity/Item/62/السنغال-نموذجاً-قنوات-إيران-لنشر-التشيع-في-غرب-إفريقيا

(٢) الحضور الإيراني في شرق إفريقيا: الأهداف والأدوات والآفاق، مركز الإمارات للسياسات، على الرابط: https://epc.ae/ar/topic/iranian-presence-in-east-africa-goals-tools-and-prospects-1

(٣) Eileen Sullivan, Trump announces new sanctions on Iran, on: https://www.nytimes.com/2019/09/20/world/middleeast/trump-sanctions-iran.html

(٤) الشرق الأوسط، التحديات الأمنية على ضفاف البحر الأحمر، على الرابط: https://aawsat.com/home/article/17706

(٥) حسن مصدق، صناعة التشيع: رهانات التغلغل المذهبي الإيراني في إفريقيا، لندن: مركز مستقبل الخليج، ٢٠٢٠، ص٥.

(٦) علي متولي أحمد، التغلغل الإيراني في شرق إفريقيا وانعكاساته على الأمن القومي الخليجي (٢٠٠٥-٢٠١٤م)، مجلة سياسات عربية، الدوحة: المركز العربي لدراسة السياسات، العدد ٢٠، ٢٠١٦م، ص٧٣.

٥٠٠٠ طالب إفريقي مسجلين في فروع «جامعة المصطفى» داخل إيران وخارجها، وقد تخرج فيها ٥٠٠٠ طالب إضافي في عام ٢٠١٦م، كما كان هناك ٤٥٠٠٠ طالب مسجلين من جميع أنحاء العالم الإسلامي، منهم ١٠٠٠٠ من الإناث. وبين عامَي ٢٠٠٧م و٢٠١٦م تخرج من «جامعة المصطفى»- التي تمولها إيران لغرض نشر أيديولوجيتها في جميع أنحاء العالم الإسلامي- حوالي ٤٠,٠٠٠ رجل دين[١]. وعلى الرغم من عدم وجود بيانات متاحة عن الميول الدينية لطلاب جامعة المصطفى في الماضي والحاضر؛ فإنّ إيران تستخدم هذه المؤسسة للترويج للشيعة، وكسب الدعم لنظامها وأيديولوجيتها في البلدان والمجتمعات الإسلامية الأخرى.

ثالثاً: أدوات السياسة الإيرانية في عهد روحاني:

تعتمد أدوات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه القارة الإفريقية على مروحةٍ واسعة من **الأدوات الاقتصادية والأدوات الأيديولوجية**، حيث حاولت إيران المزاوجة بينهما بشكلٍ كبير، من خلال الدور النشط للمراكز الثقافية الإيرانية في الترويج للمذهب الشيعي في أجزاء مختلفة من إفريقيا، حيث أنشأت إيران مؤسسة (والفجر) ومؤسسة (مزدهر) و(جامعة المصطفى العالمية) التي تمارس أدوراً اجتماعية لا تعليمية فقط، وتُنفق إيران على الملتحقين بها والذين يزورون مدينة قُم الإيرانية، وهي جامعة لها ١٢ فرعاً تنتشر في أنحاء إفريقيا[٢].

وكجزء من ارتباطاتها الدبلوماسية؛ ركزت إيران بشكلٍ منهجي على القوى الإقليمية في القارة الإفريقية، مثل جنوب إفريقيا وإثيوبيا ونيجيريا، حيث أدرك الدبلوماسيون الإيرانيون تأثير تلك القوى الإقليمية على الحكومات الإفريقية الأخرى، ويُعدّ نجاح إيران في الحصول على دعم جنوب إفريقيا، بشأن الأصوات الدولية الرئيسية فيما يتعلق ببرنامجها النووي، مثالاً مهماً.

كما شكلت المساعدات الاقتصادية والإنسانية إحدى أهم أدوات السياسة الخارجية الإيرانية في إفريقيا، واستخدمت إيران اثنتين من مؤسساتها الخيرية كواجهة لنشاطها في القارة، وهما: (الهلال الأحمر الإيراني)، و(لجنة الخميني للإغاثة)، لتوفير مروحةٍ واسعة من الخدمات الاجتماعية والصحية المجانية في العديد من دول المنطقة.

كما أتاحت المشاركة الإيرانية في عمليات منع القرصنة الدولية، قُبالة سواحل الصومال، فرصةً للتواجد العسكري الإيراني في البحر الأحمر، والاقتراب العسكري من منطقة شرق إفريقيا.

وسهّل الحضور الإيراني الكثيف، في المجال الإغاثي والخيري والتعليمي في دول شرق إفريقيا، عمليات نشر التشيع في هذه الدول، والتأثير في تركيبة المجتمعات المحلية، وخاصةً في الدول ذات الغالبية المسلمة. وبذلك اتجهت إيران إلى دفع قوّات الحرس الثوري- الجهاز الأمني والعسكري الموازي للجيش الإيراني، والذي يتولى تحقيق الطموحات الإيرانية بعيداً عن الأجهزة الرسمية لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة- للضلوع بعملياتٍ سرّية في عددٍ من دول القارة الإفريقية للوصولٍ إلى أهدافها المرجوة، غير أنّ العمليات التي قادها هذا الجهاز حملت تهديدات للأمن الإفريقي، وأدت إلى توتر العلاقات بين إيران ودول إفريقية كثيرة[٣].

---

(١) ضياء قدور، دور المؤسسات التعليمية في إيران بالدعاية والتجسس- جامعة المصطفى العالمية نموذجاً، على الرابط: https://mena-studies.org/wp-content/uploads/٢٠١٩/١٢/دور-المؤسسات-التعليميَّة-في-إيران-في-الدعاية-والتجسُّس-PDF.pdf

(٢) Hassan Dai, "Al-Mustafa University, Iran's global network of Islamic schools", Iranian-American Forum, April 2016.

(٣) أميرة محمد عبد الحليم، نفوذ الحرس الثوري في إيران، أدوار متعددة تحديات قادمة، مجلة الدراسات الإيرانية، الرياض، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد السادس، مارس ٢٠١٨م، ص١٢٩.

رابعاً: التغلغل الإيراني في إفريقيا في عهد روحاني:

١) منطقة شرق إفريقيا:

تُعدّ منطقة شـــرق إفريقيا والقرن الإفريقي من المناطق ذات الأهمية الاســـتراتيجية البالغة بالنسبة لإيران، كونها تمثل إحدى أبرز نقاط التماس الرئيسية التي تعول عليها الاســـتراتيجية الإيرانية الرامية إلى التمدد وبســـط النفوذ الإقليمي في منطقة الشـــرق الأوســـط، فالمنطقة التي تُعدّ بؤرة تنافســـية، لقوى إقليمية ودولية عـــدة، باتت محل اهتمام متزايد لدى صانـــع القرار الإيراني، بالنظـــر إلى كونها الخاصرة الرخوة بين عدد من دوائر الاهتمام والحركة للسياسة الإيرانية، عربياً وإفريقياً وشرق أوسطياً[١].

ترى إيران منطقة القرن الإفريقي، وشرق إفريقيا عموماً، مدخلاً اســـتراتيجياً للدائرة الإفريقية، ذات الأهمية الكبرى على الصعيـــد الدولي وعلى الصُّعد كافة، في إطـــار محاولة إيران لبســـط نفوذها على الممرات المائيـــة في المنطقـــة. وباعتبارها الفناء الخلفي للدائرتين الخليجية والشـــرق أوسطية اللتين تُعدّان نطاق عمل المشـــروع الإيراني الطموح الرامي إلى توسيع سياقات نفوذها في المنطقة، الأمر الذي يعنـــي أنّ منطقة القرن الإفريقي هـــي نقطة ارتكاز للتمدد الإيراني في إفريقيا من جهة، وتطويق الحزام العربي الخليجي من جهة أخرى[٢].

وفي هـــذا الإطار؛ أوفد الرئيـــس روحاني وزير خارجيته محمد جـــواد ظريف في عددٍ من الزيارات لشرقي إفريقيا في شـــتاء ٢٠١٥م. وقد ظهرت هذه الزيارات المتعاقبة للمســـؤولين الإيرانيين، في شكل لجان مشـــتركة بين هـــذه الدول وإيران، وأســـفرَت عـــن معاهدات ثنائية واتفاقيات في مجالات إنشـــاء السدود وصناعة السيارات والطاقة والشؤون المالية والمصرفية، إضافـــةً إلى التعاون الثقافي والتعليمي، كما قدَّمَت إيران وعوداً اقتصادية جاذبة اضطَرَّت من خلالها كثيراً من الدول الإفريقية إلى تقديم تنازلات في ملفات استراتيجية وأمنية[٣].

غير أنّ نفوذ إيران في المنطقة بدأ في الانحسار اعتباراً من عام ٢٠١٥م، مع دخول منافسين إقليميين (تركيا، المملكة العربية السعودية، والإمارات).

١- كينيا:

الموقـــع الاســـتراتيجي لكينيـــا، وأهميتهـــا الدبلوماســـية والدولية، ووجود معظم المؤسســـات الاقتصادية والدبلوماســـية العالميـــة، ووجود معظم ســـفارات الدول الغربية فيها، وازدياد عدد الســـياح الأجانب، جعلها منطقة جذب للمطامع والمخططات الإيرانية. وبرغـــم التعاون الوثيق بيـــن البلدين، في العديد من المجالات الاقتصادية والمالية والتجارية، عرفـــت العلاقات الكينية الإيرانية فتوراً كبيراً عندما أعلنت السلطات الأمنية، في ٢٤ فبراير ٢٠١٩م، عن إفشـــالها محاولة السفير الإيراني في نيروبي (هادي فرجوند) تهريـــب عضوين من قـــوات فيلق القدس التابعـــة للحرس الثـــوري، بســـبب تورطهما بأعمال إرهابية ونشـــاطات تجسســـية. تلا ذلك اســـتدعاء لسفيرة كينيا في طهران، ومطالبة السلطات الإيرانية بالإفراج عن المعتقلين الإيرانيين[٤].

وبعد مرور ســـنة تقريباً على ســـحب ســـفيرها أعادت إيران تعيين ســـفير جديد لهـــا في نيروبي، حيث صرح لدى اســـتقباله من قِبَل الرئيس الكيني

---

(١) Jeffrey A. Lefebvre, Iran in the Horn of Africa: Outflanking U.S. Allies, Middle East Policy Council, Volume XIX, Number 2, Summer 2012

(٢) Crisis group, Horn of Africa States Follow Gulf into the Yemen War, on: https://www.crisisgroup.org/africa/horn-africa/horn-africa-states-follow-gulf-yemen-war

(٣) وكالة مهر للأنباء: https://ar.mehrnews.com/news/1849242/وزير-الخارجية-يبدأ-جولة-تشمل-اربع-دول-إفريقية

(4) Iran demands release of its 'lawyers' arrested filming Israeli embassy in Nairobi, on; https://nairobinews.nation.co.ke/news/iran-demands-release-of-its-lawyers-arrested-filming-israeli-embassy-in-nairobi

«اوهورو كانياتا» في مارس ٢٠٢٠م أنّ تركيزه سيكون على «تعزيز التجارة بين نيروبي وطهران»[١]، وهو ما يعزز أنّ الخلاف الدبلوماسي بين البلدين تمّ تجاوزه.

٢- تنزانيا:

في أكتوبر ٢٠١٧م؛ صرح الرئيس الإيراني حسن روحاني بأنّ العلاقات بين تنزانيا وطهران تشكّل ثروة قيّمة في مسار تطوير التعاون المشترك، لافتاً إلى أنّ تنزانيا بوابة لدخول إيران إلى أسواق إفريقيا،... وأنّ الحكومة الإيرانية عازمة على تطوير العلاقات مع الدول الصديقة في كلّ أرجاء العالم، ولا سيما إفريقيا. وقال روحاني: إنّ تنزانيا بلد صديق، يرتبط بعلاقات تاريخية وثقافية مع الشعب الإيراني تعود إلى ٩٠٠ عام، هذه العلاقات بين الشعبين تشكل ثروة قيّمة في مسار تطوير التعاون. وأكد استعداد الشركات الإيرانية، العاملة في المجالات الفنية والهندسية، على تطوير المشاريع التنموية في إفريقيا. وأشار روحاني إلى ضرورة تشكيل اللجنة الاقتصادية المشتركة بين إيران وتنزانيا لمناقشة فرص تنمية التعاون التجاري والاقتصادي، وكذلك سبل تطوير العلاقات العلمية والتقنية[٢].

٣- إريتريا:

اقتربت إيران بشكلٍ خاص من إريتريا كدولة تعاني من ضغوط دبلوماسية شديدة من الولايات المتحدة، وقدّمت طهران نفسها شريكاً استراتيجياً لموازنة هذا الضغط والحفاظ على المصلحة الوطنية لإريتريا. ولكن نتيجةً لعرض الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية على إرتيريا تخفيف تأثير العقوبات، وعروض الإمدادات العسكرية، والاستثمارات في البنية التحتية، فقد غيرت إريتريا تحالفاتها، حتى أصبحت من أهمّ مراكز الدعم للتحالف العربي في اليمن[٣].

٤- الصومال:

باعتبارها دولة مهمة في سلسلة نفوذ إيران في القرن الإفريقي، والمرغوبة بفضل مواردها الطبيعية الكثيرة من قِبَل «القوى العظمى المتغطرسة» بتعبير مسؤولين إيرانيين، قدّمت إيران نفسها كشريك لمعالجة الفوضى في الصومال، حيث كانت قد افتتحت سفارتها في الصومال عام ٢٠١٢م، بعد قطيعةٍ دامت أكثر من عقدين من الزمن، وباشرت طهران بعدٍ ذلك أنشطتها الإغاثية والثقافية، عبر مكتبين تابعين لها، أحدهما لجمعية الهلال الأحمر الإيراني، والآخر لمؤسسة الخميني الخيرية. وأشرفت الجمعيتان على مخيمات عديدة في العاصمة مقديشو، إلى جانب مستوصف كبير، يستفيد منه المرضى القادمون من مختلف مناطق الصومال[٤].

وبالرغم من ذلك؛ لم تستمر العلاقات الرسمية بين البلدين طويلاً، ففي يناير ٢٠١٦م قطعت مقديشو رسمياً علاقاتها مع طهران وطردت سفيرها في مقديشو، تمّ اتخاذ هذا الإجراء بسبب تدخل إيران في اليمن.

كما اتهم رئيس الوزراء الصومالي عمر عبدالرشيد الدبلوماسيين الإيرانيين بممارسات من شأنها أن تشكل تهديداً للأمن القومي الصومالي، وأدى ذلك بالصومال إلى استدعاء مبعوثيها الدبلوماسيين وقطع العلاقات الدبلوماسية[٥]. لكنّ إيران لم

---

(١) See further: https://www.capitalfm.co.ke/news/2020/03/president-kenyatta-receives-credentials-from-new-iran-and-senegal-envoys/

(٢) وكالة مهر للأنباء، على الرابط: https://ar.mehrnews.com/news/1876940/روحاني-تنزانيا-بوابة-لدخول-إيران-الى-أسواق-إفريقيا

(٣) التحالف الإسلامي: تمّ الإعلان عنه في ديسمبر ٢٠١٥م، وتشكّل من ٣٤ دولة إسلامية بقيادة السعودية، لمحاربة الإرهاب، شاركت فيه عدد من الدول الإفريقية، منها: السودان والصومال ومصر والمغرب وموريتانيا وجزر القمر وتشاد وتوجو وجيبوتي والسنغال وسيراليون والغابون وغينيا وساحل العاج ومالي والنيجر ونيجيريا.

(٤) Ibid.

(٥) Alex Vatanka, Iran's Awkward Diplomacy in Africa, the national interest, March 23, 2016, on: https://nationalinterest.org/feature/irans-awkward-

تتوقف عن الاستفادة من هامش العمل الإنساني في الصومال الهش والفقير لتمرير أجنداتها، حيث تعمل «مؤسسة الخميني للإغاثة» في مساعدة الآلاف من النازحين في الداخل الصومالي، الذي يعانون من الجفاف الذي وصفته وكالات المعونة التابعة للأمم المتحدة بأنه الأسوأ الذي يصيب القرن الإفريقي. يمثل هذا جزءاً من القوة الناعمة الإيرانية، حيث ترعى المؤسسة مراكز تعليم للقرآن والعلوم الدينية في مقديشو، في محاولةٍ لتعزيز المذهب الشيعي بين الصوماليين، وبحسب مراقبين: فمن غير المستبعد أن تكون هذه المكاتب حلقة وصل بين النظام الإيراني وبين حركة الشباب[١].

٥- جيبوتي:

تحتل جيبوتي موقعاً استراتيجياً مهمّاً، جعلها تتمتع بمكانةٍ استراتيجية مهمة بالنسبة لإيران، حيث يُعتبر مضيق باب المندب أحد الممرات البحرية الأبرز والأكثر اكتظاظاً بحركة الملاحة في العالم، ويتوسط ميناؤها خطوط الملاحة الممتدة إلى الشرق الأوسط وإفريقيا والمحيط الهندي.

اهتمت إيران بإقامة علاقات وثيقة مع جيبوتي بسبب موقعها الاستراتيجي في منطقة القرن الإفريقي، فضلاً عن العلاقات بين كلٍّ من اليمن وجيبوتي، وهذا يساعدها على تحقيق وجودٍ استراتيجي على جانبَي مدخل البحر الأحمر.[٢]

غير أنّ جيوبوليتيكا مصالح إيران في القرن الإفريقي تعرضت لهزة قوية بقرار جيبوتي قطع علاقاتها الدبلوماسية معها في عام ٢٠١٦م[٣].

في هذا الصدد من الضروري التذكير بالأهمية الاستراتيجية لجيبوتي، التي تعمل بوصفها قاعدة عسكرية لدولٍ مثل الولايات المتحدة وفرنسا واليابان والصين.

فقرار جيبوتي ينطوي على رسالة خاصة لإيران، تشير إلى خسارة هذه الأخيرة منفذاً بحرياً مهمّاً في مضيق باب المندب والقرن الإفريقي، في الوقت الذي تشهد فيه علاقات البلدين (السعودية – جيبوتي) تعاوناً متميزاً في مختلف المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية، كما أنه من المنتظر توقيع البلدين على اتفاقية أمنية، تتلخص بنودها في تأمين الملاحة البحرية الدولية في مضيق باب المندب، ومنع عمليات التهريب باتجاه الأراضي اليمنية، عبر إنشاء قاعدة بحرية سعودية[٤].

٢) غرب إفريقيا:

تمكنت إيران من توطيد علاقاتها الدبلوماسية بأكثر من حكومة، ووضعت أسساً لبناء شراكة اقتصادية وتعاون في مجال التنمية على أكثر من صعيد، والأهم من ذلك أنها نجحت في نسج شبكة علاقات داخل عدد من الأوساط الاجتماعية، وبالاعتماد على الحضور التقليدي للجاليات الشيعية اللبنانية، والتي لها حضور متجذّر في المنطقة يعود إلى عقودٍ عديدة خَلَت، وتتمتع بنفوذ اقتصادي معتبر، وعلاقات مصالح متشعبة مع النخب المتحكمة في

2C1%diplomacy-africa-15571?page=2
https://nationalinterest.org/feature/irans-awkward-2C1%diplomacy-africa-15571?page=2

(١) Hassan Dai, Middle Eastern Interventions in Africa: Tehran's Extensive Soft Power, Middle Eastern Interventions in Africa: Tehran's Extensive Soft Power, on:
https://www.meforum.org/7254/middle-eastern-interventions-in-africa-tehran

(٢) Jean-Philippe Rǎmy, Djibouti: en attendant l'Iran… jeu complexe en mer Rouge, on:
https://www.lemonde.fr/international/djibouti-en-attendant-l-iran-/18/11/article/2016 jeu-complexe-en-mer-rouge_5033311_3210.html

(٣) The economist, Djibouti severs diplomatic ties with Iran, on: http://country.eiu.com/article.aspx?articleid=453833429&Country=Djibouti&topic=Politics&subtopic=Forecast&subsubtopic=International+relations

(٤) Financial times, Djibouti finalising deal for Saudi Arabian military base, on: https://www.9d7c--11e6-ft.com/content/c8f63492-dc14 be108f1c1dce

تلك البلدان، حيث امتلكت تلك الجاليات الشيعية اللبنانية ثروات طائلة في غرب إفريقيا، مكّنتها من التأثير على صُنّاع القرار من داكار إلى أبيدجان[١].

وتكشف مراجعة التبادلات التجارية الإيرانية مع الدول الإفريقية، خلال السنوات العشر حتى ٢٠ مارس ٢٠١٩م، أنّ إيران شهدت أعلى مستوى للتجارة في السنة المالية ٢٠١٧-٢٠١٨م عند ١,٢ مليار دولار. وقد أفادت وكالة أنباء فارس أنّ إيران شكلت ٠,١٢٪ من إجمالي التجارة الإفريقية مع العالم[٢]. على الرغم من ذلك ما تزال إيران مستثمراً وشريكاً تجارياً محدوداً في إفريقيا مقارنةً بنظرائها الخليجيين وتركيا.

بالرغم من تأسيس مركز الاستثمار الإيراني-الإفريقي عام ٢٠١٦م، بهدف «استكشاف الطاقات وآليات الاستثمار» في الدول الإفريقية، فإنّ هذا المركز- بالإضافة إلى مجلس التعاون الاقتصادي الإيراني-الإفريقي الذي بدأ أعماله في عام ٢٠٠٠م- لم يتمكنا حتى الآن من تسهيل طريق إيران لدخول القارة الإفريقية، فإيران ليست عضواً في كثيرٍ من الاتفاقيات الاقتصادية الإقليمية والقارية مع إفريقيا، مما أدى إلى أن تدفع طهران رسوماً جمركية أكثر لكي تستطيع التصدير إلى البلدان الإفريقية.

كذلك تواجه إيران كثيراً من المشاكل الأخرى للوصول إلى السوق الإفريقية، أبرزها وجود المنافسين الاقتصاديين الذين يشرفون على السوق الإفريقية، ومن بينهم الصين التي تمتلك وحدها أكثر من ربع حجم المبادلات التجارية والاقتصادية في هذه القارة.

٣) جنوب إفريقيا:

على الرغم من تعرض مشروع إيران لنكسة كبيرة، خصوصاً بعد قطع علاقاتها الدبلوماسية مع عددٍ من الدول الإفريقية (السودان، جزر القمر، إريتريا، الصومال)، فإنه بالمقابل تعتبر جنوب إفريقيا الحليف الأكثر رسوخاً للنظام الإيراني، وذلك لعدة اعتبارات، حيث صوتت جنوب إفريقيا، التي تتمتع بنفوذ كبير في الاتحاد الإفريقي، لصالح إيران عدة مرات في الأمم المتحدة، وفي دوائر دولية مختلفة. واتخذت دولة جنوب إفريقيا موقفاً قويّاً موالياً لإيران داخل الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وكذلك داخل مجلس الأمن الدولي، وكذا مواقفها المؤيدة لإيران في حقها امتلاك الطاقة النووية السلمية[٣].

ولطالما كانت جنوب إفريقيا حجر الزاوية في استراتيجية إيران «جنوب-جنوب»، والتي تهدف إلى تعزيز المصداقية الدولية لإيران وتعزيز تجارتها الخارجية، حيث كانت إيران من أوائل الدول التي استأنفت علاقاتها مع جنوب إفريقيا بعد سقوط نظام الفصل العنصري، وتتمتع الدولتان بعلاقاتٍ قوية منذ ذلك الحين.

وفي سياق دعم جنوب إفريقيا لإيران؛ قال رئيس برلمان جنوب إفريقيا: إنّ بلاده تدعم انضمام إيران إلى دول البريكس BRICS، وهي رابطة الاقتصادات الناشئة الخمسة الكبرى: (البرازيل، وروسيا، والهند، والصين، وجنوب إفريقيا)[٤]. وتشير التعاملات الاقتصادية بين البلدين إلى ارتفاع استثمارات دولة جنوب إفريقيا التجارية في العديد من القطاعات داخل إيران.

خامساً: مقارنة سياسة إيران الإفريقية

(١) الهيبة الشيخ سيداتي، كيف تلعب إيران بأوراقها في غرب إفريقيا؟، نقلاً عن موقع مركز الجزيرة للدراسات:
https://studies.aljazeera.net/ar/html.201553659458124/05/reports/2015

(٢) See further:
https://financialtribune.com/articles/domestic-10-year-review-of-iran-africa-/economy/100232 trade

(٣) See further: https://www.cfr.org/blog/shedding-light-iran-south-africa-relationship

(٤) Ibid.

خلال فترتي حكم نجاد وروحاني في ميزان المكاسب والخسائر:

لعل أبرز تجليات الاختلاف في سياسة إيران الإفريقية، خلال فترتَي حكم كلٍّ من أحمدي نجاد وحسن روحاني، تتمثل في تراجع النشاط الدبلوماسي الإيراني في إفريقيا على مستوى الزيارات الرسمية لرئيس الجمهورية، فالرئيس الحالي حسن روحاني- على خلاف سلفه أحمدي نجاد- لم يقم بأي زيارة إلى دول المنطقة منذ توليه منصبه (أغسطس ٢٠١٣م)، تزامن هذا مع التوصل إلى اتفاقية حول الملف النوويّ الإيراني، وحصول انفراج مؤقت في العلاقات الأمريكية-الإيرانية، والتوجّه نحو رفع العقوبات عن إيران، ثم تأجيل جولته الإفريقية التي كانت مقررة في ربيع ٢٠١٧م إلى موعدٍ غير محدد[١]، وهو ما يعكس **تراجع القيادة الإيرانية عن الاهتمام بالقارة وجعلها أولوية في أجندة سياستها الخارجية**[٢].

المراقب لسلوك الدولة الإيرانية في القارة الإفريقية بعد ٢٠١٣م؛ يلاحظ نزعةً لدى صناع القرار الإيرانيين لتغليب استعمال أداوت القوة الخشنة على أدوات القوة الناعمة، وهذا عكس ما كان متعارفاً عليه في عهد أحمدي نجاد، حيث كانت الأولوية لاستراتيجية «الاختراق الناعم»، ويرجع ذلك غالباً للخارطة الإدراكية لصانع القرار، الذي أضحى يحبذ استخدام أدوات القوة الخشنة بفعل عوائدها في أقاليم أخرى (الشرق الأوسط: سوريا، العراق، اليمن). فعلى الرغم من تطوّر العَلاقات الإيرانية-الإفريقية على نحو متسارع منذ وصول محمد خاتمي (١٩٩٧-٢٠٠٣م) إلى السلطة، وازدهار هذه العلاقات خلال حكم أحمدي نجاد (٢٠٠٣-٢٠١٣م)؛ إذ تميزت هذه المرحلة بزيادة اتفاقيات التعاون الاقتصادي، ونمو الحضور الثقافي الإيراني، فإنّ عهد حسن روحاني (٢٠١٣- حتى الآن) شهد تراجعاً في تطوير العلاقات بين الجانبين، في حين شهدت الفترة من ٢٠١٢م وحتى الآن إخفاقات متلاحقة للسياسة الخارجية الإيرانية في إفريقيا؛ نتيجةً للتدخلات التي قادها عناصر الحرس الثوري الإيراني، وتحديداً في عددٍ من الدول الإفريقية (نيجيريا، كينيا، السنغال)، والتي أدّت إلى توتر علاقات إيران مع عددٍ من الدول الإفريقية، بما يمثل تراجعاً للنفوذ الإيرانيّ في القارة الإفريقية[٣]، أفضت هذه التحركات إلى قطع السنغال وغامبيا لعلاقاتهما مع إيران، وتوتر العلاقات بين إيران ونيجيريا، وهو ما كان كافياً لمحو تاريخ طويل من العلاقات الجيدة بين إيران ودول غرب إفريقيا[٤]، بل وتحوّل العديد من الدول الإفريقية عن دعم إيران في أوقات الأزمات.

كما يؤخذ في الاعتبار الانفتاح الإيراني على الغرب بعد الاتفاق النووي، وعدم الحاجة إلى ساحاتٍ بديلة لكسر العزلة والالتفاف على العقوبات، وهو الأمر الذي أثّر على كثافة الحضور الإيراني على الساحة الإفريقية[٥].

ومع تصاعد الأزمة اليمنية، واتجاه دول الخليج لتدعيم علاقاتها مع دول القارة

(١) الجزائر اليوم، تأجيل زيارة روحاني إلى الجزائر وجنوب إفريقيا واوغندا، على الرابط: https://www.aljazairalyoum.com/تأجيل-زيارة-روحاني-إلى-الجزائر-وجنوب-ا/

(٢) Fбtima Chimarizeni, Iran-Africa Relation: opportunities and prospect for Iran, Brazilian Journal of African Studies, vol.2, no.3, Jun 2017, pp.36-37.

(٣) وحدة الدراسات الإفريقية، النفوذ الإيراني في إفريقيا المحددات وآليات الاختراق، ورقة سياسات، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات، ٢٠١٦م، ص (١-٢).

(٤) Jacob Zenn, "The Islamic Movement and Iranian Intelligence Activities in Nigeria", Combating Terrorism Center at West Point. See: https://www.ctc.usma.edu/posts/the-islamic-movement-and-iranian-intelligence-activities-in-nigeria

(٥) Brandon Fite, Chloe Coughlin Schulte, U.S and Iranian Strategic Competition: The Impact of Latin America, Africa, and the Peripheral States, USA, Center for Strategic and International Studies, July 2013, p.24-23.

الإفريقيـــة، وخصوصاً دول شـــرق إفريقيا، في محاولة لاســـتخدام أراضي هـــذه الدول لتقديم الدعم اللوجيســـتي لقوّات التحالف العربي من ناحية، وكذلك لمنع اســـتغلال إيران لهذه الدول في تقديم الدعم للحوثيين من ناحية أخرى، فقد أدركت الـــدول الإفريقية أنّ توطيد عَلاقاتها مع إيران لن ينعكس على تسوية قضاياها المختلفة، وخصوصاً في ظل المشكلات التي تثيرها إيران في الشرق الأوسط، وكذلك استخدامها لأراضي الدول الإفريقية في دعـــم حلفائها، والذي أدى إلى تهديد أمن الدول الإفريقية، حيث تكشـــف الإجراءات الساعية لمحاصرة نشاط التشيع في العديد من الدول الإفريقية (السنغال، نيجيريا، الجزائر، المغرب، موريتانيا) عن إدراك للمخاطر التي صار يشـــكّلها هذا النشـــاط على وحدتها المذهبية؛ بسبب النزعة الطائفية التي تروّج لها إيران وتضعها كمرجعية لنشاطها الخارجي.

نقطة أخـــرى لها دلالة كافية على انحســـار النفـــوذ الإيراني في إفريقيا فـــي عهد روحاني، تتمثل في كون ســـعي إيران الحثيث إلى تســـويق نفســـها بوصفها دولة مدافعة عن المستضعفين في العالم، ونصيرة للدول التي تقع تحت عقوبات الولايات المتحـــدة وحلفائهـــا، ومدافعاً أخلاقياً عن المجتمعـــات المحاصرة، من فلســـطين إلى الســـودان وإريتريا، أضحى ذريعةً غير ذات تأثير، ففي أعقاب توقيع إيران للاتفاق النووي مع القوى الغربيـــة (مجموعة ٥+١) في يوليه ٢٠١٥م أعادت كثيرٌ من الدول الإفريقيـــة التفكير في تحالفاتها مع إيران، وخصوصاً السودان وإريتريا، فجزءٌ من دوافـــع التقارب بين الدولتيـــن وإيران كان يرتبط بمواجهتهمـــا للغرب، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية[1].

خاتمة:

سعت إيران باستمرار إلى توسيع نفوذها في إفريقيا على مدى العقدين الماضيين، حيث كان الرئيس الإيراني الســـابق محمود أحمدي نجاد قد بذل جهوداً كبيرة لتوسيع علاقات طهران مع الـــدول الإفريقية لتعويض عزلة إيران المتزايدة مع الغرب، حيث ترى إيـــران أنها منطقة مهمة لقوتهـــا الناعمة واســـتراتيجيات القوة الصلبة. أما أولوية إدارة الرئيس روحاني فهي تحســـين علاقات إيران مع الغـــرب، وتعزيز مكانة إيران الدولية، فلم تعد إفريقيا خلال عهد هذا الأخير أولوية استراتيجية.

غير أنّ هذا التحول لـــم يأت نتاج مراجعة إيران لعوائد سياســـاتها في القـــارة الإفريقية وحســـب، وإنما هـــو نتيجة لتدهـــور علاقتها بالعديـــد من دول شـــرق القارة كجـــزر القمر وإريتريا والسودان، وتنامي نفوذ لاعبين إقليميين كالسعودية والإمارات وتركيا في المنطقة، الأمر الـــذي يوضح حقيقـــة عجز إيران عـــن إقامة تحالفـــات مســـتدامة مع شـــركاء أفارقة، مما يضطرهـــا لتغيير نقاط ارتكازها بصورة شـــبه دورية، والتوجه نحو مناطق محدودة الفائدة من حيث قدرتها على تحقيق مكاســـب استراتيجية لإيران.

كذلك حالت المشـــكلات الإيرانية الداخلية دون بناء شراكات مســـتدامة وفعّالة في القارة الإفريقيـــة، بالرغم من الاهتمـــام المكثف في العقدين الأخيرين، بســـبب تناقضـــات إيرانية داخليـــة، على مســـتوى الأهداف والوســـائل، بين مراكز صنع القرار ومؤسســـاته في النظام الإيراني، حيث افتقدت إيران لسياســـة خارجية متناسقة، فلا تزال السياسة الخارجية الإيرانية في إفريقيا تعاني من الســـلبيات التي فرضتها الأعراض الثورية، التـــي ما زالت تُلقي بظلالها على عملية صنع السياسة الخارجية ■

(١) بدر حسن الشافعي، الدور الإيراني في إفريقيا: المحددات والتحديات، دراسات سياسية، القاهرة: المعهد المصري للدراسات، فبراير ٢٠٢٠م، ص٦.